علم الكلام الالهيات

المرحلة الثانية

مدرس المادة

م . م احمد خليل خلف

١٤٤٦هـ

٢٠٢٤م

علم الكلام

يمثل علم الكلام لبنة من لبنات الثقافة الإسلامية وثمرة اجتهادات العقل الإسلامي التي امتازت بها الحضارة الإسلامية في بناء صرحها المعرفي، الفكري والعقدي .تحدّ د نشأته في بداية القرن الثاني للهجرة على يد المعتزلة . وإن كانت المشكلات الدينية قد ظهرت قبل ذلك بنصف قرن من الزمان، حينما وقع الجدل حول مشكلة مرتكب الكبيرة ومشكلة القدر، مما يمكن اعتباره إرهاصا مبكرا لعلم الكلام .

تعريفه : لعلم الكلام تعريفات عديدة منها التي صيغت للدلالة على معنى ومنهج وهدف علم الكلام تعريف عضد الدين الأيجي:

" الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه . والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل ، والدينية المنسوبة إلى دين محمد (صلى الله عليه وسلم) فإن الخصم وإن خطأناه لا نحرجه من علماء الكلام

"إن في تحديد الأيجي لعلم الكلام ضبط لموضوع العلم المتمثل في أصول الدين التي يبنى عليها الإيمان الذي لا يشترط معه العمل بالنسبة للأيجي، إضافة إلى تحديد الدور الذي اضطلع به علم الكلام دفاعا عن العقيدة بإثبات أصولها ودحض خصومها. فمسائل الكلام تبحث في طرق إثبات أصول الدين الإسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بها.

على هذا النحو، يضطلع علم الكلام ببحث ودراسة مسائل العقيدة الإسلامية الحقة بإيراد الأدلة وعرض الحجج على إثباتها، ومناقشة الأقوال والآراء المخالفة لها ومحاكمة أدلتها بإثبات بطلانها مع نقد الشبهات التي تثار حولها ودفعها بالحجة والبرهان.

ويفهم من تعريف الأيجي الامور الاتية :

١ـ ان علم الكلام يشمل كلام جميع المذاهب الكلامية .

٢ـ العقائد يجب ان تؤخذ من الشرع ، وثمرة علم الكلام اثبات هذه العقائد على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه .

٣ـ ان العقائد لكونها مضبوطة ينبغي الاحاطة بها وبأدلة اثباتها ، فلا يكتفي التقليد .

يرى طه عبد الرحمن: أنه يجوز تعريف علم الكلام " بالعلم الذي يختص بدفع الاعتراضات على أصول العقيدة . إذ أن جانبه التأسيسي أو الإثباتي لم ينشأ ويتطور إلا بالاستناد إلى جانبه الإبطالي أو النقدي. ما يعني أن علم الكلام هو العلم الذي أظهر قدرة تداخلية قل نظيرها في الممارسة التراثية فقد تداخل مع العلوم المنقولة نحو الإلهيات والمنطق والأخلاق . فعلم الكلام مشارك وخادم للإلهيات من حيث فتحه الطريق لها للخوض في مسائل إلهية مثل مسألة النبوة ومسألة المعاد، وأمدها بوسائل البحث فيها. كما استعانت الإلهيات بأدوات علم الكلام على توضيح مقولاتها الفلسفية وتقريب قضايا العقل .

عرفه ابن خلدون " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات . وسر العقائد الإيمانية هو التوحيد ." في التعريف إشارة واضحة إلى أن الغاية من علم الكلام الدفاع عن العقيدة بالحجج العقلية ومقصوده " حفظ عقيدة وحراستها عن تشويش أهل البدعة ." ويتمثل علم الكلام أيضا في " بيان كيفية الاستدلال على تحصيل عقائد صحيحة جازمة بترتيب صحة الشرائع عليها، أو الاستدلال على عقائد وشرائع مخصوصة.

اسمائه :

لقد ذُكرت لهذا العلم الباحث عن المسائل الاعتقاديّة عدّة أسماء. ونلاحظ أنّ كلّ تسميةٍ كان لها وجهها وسببها. ونحن سنذكُر هذه التسميات مع وجوهها :

أ – علم الكلام:

وهو أشهر التسميات المتداولة لهذا العلم. وقد ذُكرت عدّة وجوه في سبب تسمية هذا العلم بعلم الكلام، نذكر منها:

١ . إنّ العلماء المتقدّمين كانوا يُعَنوِنون فصول أبحاثهم بالكلام؛ فيقولون: كلامٌ في التوحيد، كلامٌ في القدرة، كلام في النبوّة، كلامٌ في العدل، وهكذا، فلمّا كثر لفظ الكلام في هذا النحو من أبحاثهم سمّي بعلم الكلام.

٢ . إنّ من يدرس هذا العلم، ويتقنه ويستحضر قوانينه وأدلّته، يصبح ماهراً وبارعاً في النقاش والمجادلة وإفحام الخصم، وبعبارةٍ أخرى تصبح عنده قوّةً في الكلام مع الخصم في الأمور الاعتقاديّة والعقليّة والشرعيّة، فيسمّى متكلّماً، لتضلّعه بهذا العلم.

٣ . إنّ قوّة أدلّة هذا العلم . مع ملاحظة ما سيأتي في أنّ نشوء هذا العلم في الأوساط الإسلاميّة كان قبل الفلسفة . صار كأنّه هو الكلام دون ما عداه من العلوم الأخرى، وتقول العرب للكلام القوي عندما تقارن بين كلامٍ ضعيفٍ وكلامٍ قويٍّ : هذا هو الكلام.

٤ . إنّ أشهر مسألةٍ بحث عنها هذا العلم، واختلفت فيها الآراء– لا سيما في القرن الأوّل الهجريّ– هي معنى الكلام الإلهيّ، وهل أنّ الله متكلّمٌ؟ وهل أنّ كلامه قديمٌ أم حادثٌ؟ واشتدّ النزاع كثيراً في هذه المسائل بالذات بين الفرق الإسلاميّة، حتّى كفّر بعضهم بعضاً، وأريقت دماءٌ كثيرة، بما هو معروفٌ في التاريخ باسم محنة القرآن .

٥ . لأنّ هذا العلم يبتنى على الأدلّة القطعيّة التي تفيد اليقين، فيكون أشدّ تأثيراً في القلب، فكأنّه يجرح القلب ويدميه لشدّة تغلغله به، وعليه تكون هذه التسمية مشتقّةً من الكَلْم . بسكون اللام . أي الجرح.

٦ . لأنّ مشايخ المعتزلة كانوا أصحاب قرائح خصبة، في نضدّ القريض، وارتجال الخطب الاعتقاديّة والمناظرة فيها، حتّى بلغوا الذروة في الفصاحة والبلاغة، فسمّيت صناعتهم هذه . بسبب أوصافهم وخصوصيّاتهم . بالكلام، وسُمُّوا هم بالمتكلّمين.

٧ . هذا العلم أسبق من غيره في المرتبة، فالكلام فيه أسبق من الكلام في غيره، فكان أحقّ بهذا الاسم١.

ب – علم أصول الدين:

والمراد بالدين هو مجموعة المفاهيم والأحكام والأخلاق التي تفرضها الشريعة على الإنسان. وهي لا تخلو في الغالب من مشقّةٍ، ومن ترك ملذّة. والالتزام به لا بدّ أن يبتنى على حجّةٍ ودليلٍ قاطعين. وإنّما سمي هذا العلم الذي نحن بصدده بعلم أصول الدين، "لأنّ العلوم الدينيّة من الفقه والحديث والتفسير مبنيّةٌ عليه، لأنّها متوقّفةٌ على صدق الرسول، المتوقّف على ثبوتِ المرسِلِ وصفاته وامتناع القبيح عليه، وهذا العلم يبحث عن ذلك ... فلا جرم كان أصلاً للدين"٢.

ج – علم العقائد:

وهذه التسمية باعتبار أنّ هذا العلم يبحث عن العقائد التي يعتنقها الإنسان، وقد مرّ معنى العقيدة، فسمّي هذا العلم باعتبار موضوعاته، وما يبحث عنه من مسائل وقضايا ترتبط بالمعتقد، والعلم بهذه القضايا علمٌ بالعقائد، فسُمّي بعلم العقائد.

د – علم التوحيد والصفات:

ومن الجليّ جداً أنّ وجه التسمية بهذا الاسم هو أحد أبرز وأهمّ أبحاثه، وهو البحث عن توحيد الله سبحانه، وعن صفاته تعالى، فكانت التسمية للكلّ باسم الجزء، وهو متعارف جدّاً في لغة العرب.

هـ – الفقه الأكبر: وسمَّاه أبو حنيفة — رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) — بالفقه الأكبر.

الفقه في اللغة هو الفهم والمعرفة. وينبغي على الإنسان أن يعرف بالدرجة الأولى أمرين:

١ . الأحكام العمليّة الفرعيّة التي تضبط كلّ أعماله وتصرّفاته، وهي ما يطلق عليها بالاصطلاح الفقه .

٢ . المسائل الاعتقاديّة حيث إنّ الأحكام العمليّة تُبتنى على المسائل الاعتقاديّة، كانت هذه المسائل أهمّ وأشرف، لذلك سمّيت الأحكام بالفقه الأصغر، وسميّت المسائل الاعتقاديّة بالفقه الأكبر.

و – علم النظر والاستدلال:

وقد سمّي هذا العلم بذلك؛ لأنّ عمدة مسائله، نحو: إثبات الصانع، وحكمته، ووحدانيته، وضرورة بعثة الأنبياء، وغيرها من المسائل، تعتمد على الأدلّة العقليّة، وهي بحاجة إلى نظرٍ وفكرٍ واستدلالٍ.

ثانياً: سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم: أما سبب تسميته بهذا الاسم فذلك مما تضاربت به الأقوال، ومما قيل في ذلك ما يلي:

١_ أن عنوان مباحث المتكلمين في العقائد كان: الكلام في كذا وكذا....

٢_ لأنه يورث قدرةً على الكلام في تحقيق الشرعيات، وإلزام الخصوم؛ فهو كالمنطق للفلسفةِ؛ والمنطقُ مرادفٌ للكلام.

٣_ لأن هذا العلم لا يتحقق إلا بالمباحثة، وإدارة الكلام من الجانبين على حين أن غيره من العلوم قد يتحقق بالتأمل، ومطالعة الكتب.

٤_ لأنه أكثر العلم خلافاً، ونزاعاً؛ فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين، والرد عليهم.

٥_ لأنه؛ لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من الكلام.

٦_ أنه؛ نظراً لقيامه على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية كان أكثر العلوم تأثيراً بالقلب؛ فسمي الكلام بذلك مشتقاً من الكَلْم وهو الجرح.

٧_ أنه سمي بذلك؛ لأن أول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله _عز وجل_ أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فتكلَّم الناس فيه؛ فسمي هذا النوع من العلم كلاماً، واختص به.

٨_ لأن هذا العلم كلام صِرْفٌ، وليس تحته عمل٢.

موضوعه: وكما اختلف العلماء في تحديد تعريف لعلم الكلام ، فقد اختلفوا في تحديد موضوعه ، على ثلاثة آراء :-

١- إن موضوعه هو ذات الله تعالى وصفاته ، وذات الممكنات من حيث إسنادها

إلى الله تعالى ، ولهذا يعرف بالعلم الباحث عن أحوال الصانع ، كصفاته الثبوتية ، والسلبية ، وأفعاله المتعلقة بأمر الدنيا ككيفية صدور العالم عنه بالاختيار وحدوث

العالم ، وخلق الأعمال وكالبحث عن النبوات وما يتبعها ، وأما المتعلقة بأمر الآخرة ، كبحث المعاد ، وسائر السمعيات ، وقد ذهب إلى هذا القول جمهور العلماء

فكان علم الكلام : هو العلم الباحث عن أحوال الصانع وأحوال الممكنات ،

من حيث احتياجها إليه على قانون الإسلام .

٢ـ إن موضوعه الموجود من حيث هو ، ولكنه يتميز عن الالهية بكون البحث فيه على قانون الإسلام ، وقد ذكر التفتازاني أن القائلين بهذا القول هم قدماء المتكلمين

ويظهر أن الغزالي من هذا الفريق ، حيث يقول : (إن المتكلم ينظر في أعم الأشياء ، وهو الموجود فيقسمه على : قديم ، ومحدث . والمحدث على جوهر وعرض ، والعرض إلى ما يشترط فيه الحياة ، كالعلم والقدرة ، والى ما لا يشترط ،

كاللون ، والطعم ...) .

فيفهم من عبارة الغزالي أنه كان يعد الموجود موضوعا لعلم الكلام .

٣ـ إن موضوعه المعلوم من حيث أنه يتعلق به إثبات العقائد الدينية ، ومن

القائلين بهذا القول العلامة عضد الدين الإيجي ، وسعد الدين التفتازاني وان هذا الرأي الأخير هو الذي نيميل اليه ؛ لما فيه من شمول للمراد من موضوع هذا العلم ، لكونه يتناول أحوال الممكنات التي يتعلق بها إثبات العقائد الدينية ، وأيضا يتناول الوجود الله تعالى ، والمعلوم والمعدوم ، وبما كان على قانون الإسلام .

غايته :

تحلية الإيمان بالإيقان ، ومنفعته الفوز بنظام المعاش ، ونجاة المعاد . وعليه أن غاية هذا الفن هي تحلية الإيمان الذي هو الاعتقاد شرعا في جانبه تعالى وجانب رسله عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بالإيقان الذي هو ثبوت المعتقد على وجه لا يتزلزل بشبه المبطلين ، ولا يضعف بدعوى الضالين .

وقال الإيجي في غاية علم الكلام إنها أمور :

١ــ غايته بالنظر إلى الشخص في قوته ، وتكون بالترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان ، قال تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ، قد خص الله تعالى العلماء الموقنين بالذكر في الآية مع كونهم مندرجين في المؤمنين من باب ذكر الخاص بعد العام رفعا لمنزلتهم ، كأنه يقول الله عز وجل وخصوصا هؤلاء الأعلام منكم .

٢ــ غايته بالنظر إلى تكميل الغير ، فيكون بإرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة لهم في عقائد الدين ، إلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم .

٣ــ وبالنظر إلى أصول الإسلام : يكون بحفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين .

٤- وبالنظر إلى فروعه : فيه تبنى سائر العلوم الشرعية الأخرى عليه؛ لأنه أساسها، واليه يؤول أخذها واقتباسها، فإنه ما لم يثبت وجود صانع عالم قادر مرسل للرسل لم يتصور علم تفسير، أو حديث، أو فقه، أو غير ذلك من العلوم .

٥ــ وبالنظر إلى الشخص باعتبار قوته العلمية ، وذلك يكون بأنه سبب لصحة نيته بالإخلاص بالأعمال، وصحة الاعتقاد إذ بهذه النية يرجى قبول العمل وغايته

الفوز بسعادة الدار

اهدافه :

١- معرفة أخطاء الغير ، فإن عدم معرفة المخطئ من المصيب لا يضر من جهة واحدة ، وهي أن الإنسان لا يؤخذ بعمل المخطئ ولكن يكفيه ضررا انه لا

أما أهداف هذا العلم فيبينها لنا الإمام أبو حنيفة الله من خلال ما يجريه على لسان العالم في حديثه مع المتعلم، فيبرز لنا أهدافاً متعددة لعلم الكلام منها :-

١. الدفاع عن الدين
٢. الدفاع عن النفس
٣. التحلي بالعلم والمعرفة
٤. الخروج من الشبهة أذا نزلت .
٥. صون القلب عن الشبهات ، وهذه الشبهات إذا كان في الإمكان كف اللسان عنها ، فليس في الطاقة كف القلب
٦. معرفة من يحبه المرء ومن يبغضه في الله .

فائدته:

إذ تتباين قيمة علم الكلام بين مؤيد ورافض له، نرصد آراء المشيدين به وبفائدته

الجليلة وفي نظرنا هذا كفاية، لا لإلغاء وجهة النظر المعاكسة، بل لأن المقام لا يتسع لذلك في هذا المقال. نذكر على سبيل المثال لا الحصر قيمته عند أبي نصر الفارابي في قوله :"صناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل". غاية علم الكلام تقوم على نصرة العقيدة الإسلامية دون ذكر للتمييز بين الفرق الإسلامية .

وتتجلى فائدة علم الكلام عند الأيجي في الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان وإرشاد المسترشدين بإيضاح الحجج والزام المعاندين بإقامة الحجة؛ إضافة إلى حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين. كما يبنى عليه العلوم الشرعية لأنه أساسها واليه يؤول أخذها واقتباسها. وبفضل علم الكلام تحصل صحة النية والاعتقاد التي بها يرجى قبول العمل ، جمعت فوائد علم الكلام بين الإيمان الصحيح الذي يقوم على النظر العقلي لا التقليد، وحفظ العقيدة وتحصينها بالأدلة العقلية. زيادة على أن العلوم الشرعية تقوم على أصول الدين، فإن هذا الأخير يؤطر للجانب العملي في حياة المؤمنين.

وجملة الفوائد هذه إنما تكون بالصنعة الكلامية التي تقوم على المناظرة العقدية لحفظ الأحكام الإيمانية الحق التي استدل لها مما يرد عليها من معارضات وممانعات.

ترد المعارضات والممانعات من أصحاب الديانات الشرقية القديمة أو أصحاب الديانات السماوية كاليهودية والمسيحية. فينبري علماء الكلام للدفاع عن العقيدة الإسلامية برد دعاوى الخصوم المنكرين لها "بتقويض أدلتهم وبيان بطلانها، وذلك عن طريق إي ايراد الأدلة العقلية التي تبين تفاهتها وسقوطها، وأيضا الرد على الشبه التي يوردها أصحاب تلك الديانات على العقيدة الإسلامية. وبهذا كان لعلم الكلام دورا إيجابيا في إثبات صحة العقيدة بالعقل ودورا دفاعيا يقوم بالدفاع عن العقيدة ضد الخصوم المنكرين لها. ولقد تلازم الدوران عبر مراحل نشأة علم الكلام وتطوره وليس صحيحا ما يذكر بأن مهمة علم الكلام كانت دفاعية فقط ولم يهتم بتوضيح العقيدة وشرحها" ١.فالدراسات الكلامية أثبتت العقيدة الإسلامية ودافعت عنها بصيغة عقلية ضد المخالفين لها بالدليل والحجة، وإبطال الشبهات التي تثار حول قواعد العقائد

في هذا السياق، يفصل علم الكلام إلى آلي ومقصدي، فهو علم آلي، إذ يبحث في الآلة الحجاجية ، ادعاءا واعتراضا فيرتب وظائفها ويحدد شرائطها ويضع قواعدها. فينتفع بهذا البحث كل علم يخوض في القضايا التداولية كعلم اللغة وعلم الفقه وعلم الأصول وهو من جهة ثانية علم مقصدي، إذ يشتمل على مقدمات عقدية وقضايا عقلية بينت فيها بالتقرير والإثبات أو بالنقض والإبطال . إن القول بآلية علم الكلام يجعل العلوم الأخرى تفيد منه كاللغة والفقه والأصول، بذلك لا تنحصر فائدته في النظر العقدي فقط بل تتعداه إلى غيره من التخصصات .

اسباب نشوء علم الكلام

أسباب ظهوره: تعددت أسباب نشؤ علم الكلام وتباينت بين مقتضيات داخلية وأخرى خارجية. سنحاول أن نذكر أهم النقاط بالنسبة لكلا العاملين : الداخلي والخارجي.

أ- العوامل الداخلية:

من الأسباب الرئيسة التي يعزى إليها ظهور علم الكلام القرآن الكريم؛ مما أدى إلى القول أن الكلام في أصول التوحيد مأخوذ من الكتاب، قال الله تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" تدل الآية الكريمة :"على الحجة بأنه واحد لا شريك له، وكلام المتكلمين في الحجاج في التوحيد بالتمانع والتغالب، فإنما مرجعه إلى هذه الآية" ، ليس هذا فقط ، بل إن كلام المتكلمين في توحيد الله إنما يرجع إلى الآيات القرآنية، وكذلك سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد والعدل إنما هو مأخوذ من القرآن؛ ما يعني أن النص القرآني يمثل المرجع الأساسي الذي استقى منه المتكلمون المعارف الكلامية والمنهج الكلامي خاصة دليل التمانع والتغالب ودليل حدوث العالم

يعزو ابن خلدون – أيضا نشأة علم الكلام إلى القرآن لاحتوائه على آيات محكمات يسهل فهمها وأخر متشابهات يلتبس معناها على القارئ. لذلك كانت أسباب الاختلاف، أكثر مثارها من الآي المتشابهات مما دعا إلى الاختلاف والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة إلى النقل. إذن علم الكلام وجدا منطلقا له من القرآن منهاجا وموضوعا. شرعيا ومعرفيا لا يتعارض النظر مع الإيمان وفي القرآن آيات كثيرة تحت المسلمين على النظر في ملكوت السموات والأرض وأن يتفكروا ويتدبروا في كل ما هو موجود ليدركوا حقيقة موجود واحد مطلق لامتناه في الوجود يفتقر له كل

ما هو موجود، يقول تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)، وقال الله: (إنّ في هذه الآيات لآياتٍ لقوم يعقلون) [1]، وقال (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

إن مجموع الأسباب الداخلية تؤكد على أن علم الكلام علم أصيل وليد العقل الإسلامي والظروف الاجتماعية والسياسية والعقدية التي دعت إلى تشكل مسائله الجزئية أولا، ثم موضوعه فمنهجه. ونستقريء من هذا الأمر أيضا ملحوظة مهمة جدا تتمثل في أن العقل الإسلامي كان ولادا ومنتجا للعلوم والمعارف حينها، حيث أن المستجدات والمتغي ا رت التي واجهته بالنقد والمعارضة أبدع لمواجهتها علما قائما بذاته. فما أحوج المجتمع الإسلامي في الوقت ال ا رهن لعلم كلام جديد تنصهر فيه كومة المشاكل التي أضحت عائقا ابستيمولوجيا يحول بينه وبين هويته، بينه وبين العلوم.

ب- العوامل الخارجية: تمثل المقتضى الخارجي في ظهور أنساق عقدية مختلفة دعت الضرورة إلى مواجهتها، كالنسق العقدي اليهودي والنسق العقدي النصراني والنسق العقدي الصابئي.. وانتشار الفلسفات اليونانية وغير اليونانية في المجال التداولي الإسلامي العربي ، كان للتأثير الأجنبي من خلال الثقافات الوافدة والتي استطاعت أن تترسب إلى بعض فئات المجتمع الإسلامي أن تثير بعض المسائل والمواضيع التي تطعن في الدين الجديد، الأمر الذي استلزم الرد عليهم من طرف المتكلمين حفاظا ودفاعا عن الدين الإسلامي.

يعتبر التأثير الأجنبي من أسباب الاختلاف بين المسلمين؛ إذ كان بعض الذين أسلموا من أصحاب الديانات القديمة يفكرون في الحقائق الإسلامية انطلاقا من

---

[1] سورة النحل الاية ١٢

اعتقاداتهم القديمة :" فأثاروا الكلام في الجبر والاختيار، وصفات الله؛ أهي شيء غير الذات أم هي والذات وشيء واحد" .

انطلاقا من هذا، سيمثل الصراع الفكري والعقدي بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى العامل الحاسم في نشأة وتحديد جملة من موضوعات علم الكلام نتبين أمرها في ما يأتي ذكره:

١- الاختلاف بين الإسلام واليهودية: أثيرت مسألة التنزيه والتشبيه بفعل الصراع الفكري بين الفكر الإسلامي واليهودي لأن مفهوم التوحيد متباين في العقيدتين. فهو في الديانة اليهودية يصور الله على شكل بشري ، في حين أن مفهوم التوحيد في الدين الإسلامي مفهوم يقوم على تنزيه الذات الإلهية وبهذا الصدد اتهمت فرق المشبهة والمجسمة من المسلمين بالميل إلى اليهودية أو التأثير بها.

ومن المسائل مثار الجدل بين الديانتين مسألة إمكان نسخ الشرائع، وعصمة الأنبياء إذ اليهود ينكرون النسخ والإسلام يقره وينسبون للأنبياء الكبائر والرذائل، والإسلام يوجب عصمتهم لأنهم محميون عن المعاصي من الله فهم قدوة للناس وأفعالهم أسوة يجب الاقتداء بها لذلك لا يحق منهم فعل النقائص التي تجعل من المعاصي طاعات.

٢ــ الاختلاف بين الإسلام والمسيحية: نشأ ص ا رع بين الإسلام والنصرانية حول إنسانية المسيح أو أولهيته. فالإسلام اتخذ موقفا حاسما تجاه الاعتقاد بألوهية المسيح وصلبه. وصف القرآن المسيح بأنه كلمة الله ولم يوصف بذلك نبي آخر، وقد دلل المتكلمون – المعتزلة خصوصا – على معنى مغاير تماما لما يفهمه المسيحيون من

"الكلمة" فهي لا تنطوي بحال ما على الألوهية أو الأزلية ولا تتضمن وجودا المسيح سابقا على مولده .

كان الصراع في المسيحية على أشده بين ثلاثة فرق كبرى هي اليعاقبة ، النساطرة والملكانية كل واحدة من هذه الفرق تختلف وجهة نظرها في طبيعة المسيح وعلاقته بالله عن وجهة نظر الفرقة الأخرى. فما كان على المتكلمين إلا أن يتسلحوا بحجج المنطق ومصطلحات الفلسفة لمواجهة كل مذهب وفقا لعقيدته ، ولمواجهة الفكر المسيحي تبنت المعت زلة القول بحدوث الكلام الإلهي، ليتفادو حدوث ما وقع في المسيحية: الاعتقاد بألوهية المسيح لأنه كلمة الله.

كانت الحاجة في التصدي للتيارات العاتية ومقاومتها، مثل: المزدكية ، المانوية، الزرادشية والرد عليها والبراهمة ، والبوذية وغيرها من الديانات الوضعية من أهم العوامل التي ساعدت على بلورة مواضيع ومناهج الفرق الكلامية الإسلامية؛ لأن المنهج الكلامي اختلف من فرقة إلى أخرى حسب التمذهب والتوجه الفكري مع المحافظة على الطابع المناظراتي لعلم الكلام.

اصول الدين

الاصل في اللغة : أصل كل شيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه فالأب اصل الولد والنهر اصل للجدول ، والأصل : أسفل كل شيء جمعه أصول

والأصول اصطلاحا : القواعد والقوانين التي يبنى عليها العلم : أصول الدين أصول العلوم .

والأصول جمع اصل : وهو عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره ، وفي الشرع هو ما يبنى عليه غيره ، ولا يبنى هو على غيره ، والأصل ما يثبت حكمه بنفسه .

تعريف الدين

الدين في اللغة: مشتق من الفعل الثلاثي دان وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به. فإذا تعدى بنفسه يكون "دانه" بمعنى ملكه وساسه، وقهره وحاسبه، وجازاه.

وإذا تعدى باللام يكون "دان له بمعنى خضع له، وأطاعه. وإذا تعدى بالباء يكون "دان به" به ني اتخذه ديناً ومذهباً واعتاده، وتخلق به، واعتقده.

وهذه المعاني اللغوية للدين موجودة في "الدين" في المعنى الاصطلاحي كما سيتبين لأن الدين يقهر أتباعه ويسوسهم وفق تعاليمه وشرائعه، كما يتضمن خضوع العابد للمعبود وذلته له، والعابد يفعل ذلك بدوافع نفسية ويلتزم به بدون إكراه أو إجبار.
الدين في الإصطلاح: اختلف في تعريف الدين اصطلاحاً اختلافاً واسعاً حيث عرفه كل إنسان حسب مشربه، وما يرى أنه من أهم مميزات الدين. فمنهم من عرفه بأنه الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي" وهذا تعريف أكثر المسلمين).

ويلاحظ على هذا التعريف قصره الدين على الدين السماوي فقط ، مع أن الصحيح أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له يصح أن يسمى ديناً، سواء كان صحيحاً، أو باطلاً، بدليل قوله عز وجل : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين ، وقوله ﷺ : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ، فسمى الله ما عليه مشركي العرب من الوثنية ديناً.

أما غير المسلمين فبعضهم يخصصه بالناحية الأخلاقية كقول (كانت): أن الدين هو المشتمل على الإعتراف بواجباتنا كأوامر إلهية وبعضهم يخصصه بناحية التفكر والتأمل فيقولون: الدين هو التجربة الصوفية التي يجاوز الإنسان فيها متناقضات الحياة ، إلى غير ذلك من التعريفات التي نظرت إلى الدين من زاويه. وتركت أوجهاً وزوايا عدة. وأرجح التعريفات أن يقال: الدين هو اعتداد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي بدل على الخضوع.

الدين: هو إعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلاً وحباً، رغبة ورهبة.

فهذا التعريف فيه شمول للمعبود، سواء كان معبوداً حقاً. وهو الله عز وجل، أو معبوداً باطلا وهو ما سوى الله عز وجل.

كما يشمل أيضا العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أو لها أصل سماوي ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية، والنصرانية.

أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوسية، والبوذية، وعموم الوثنيات. كما يبرز التعريف حال العابد إذ لابد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع ذلاً وحباً للمعبود حال العبادة، إذ أن ذلك أهم معاني العبادة.

ويبين التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو رغبة ورهبة معاً، لأن ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة. والله أعلم.

علم العقائد

العقائد في اللغة : العقائد : جمع مفرده (عقيدة) وهي مشتقة من الفعل (عقد) سواء أكان المعنى حسيا كعقد الحبل ، أو معنويا كعقد البيع والعهد ، وعقد الحبل والبيع والعهد ، والعقل والضمان والعهد ، والجمل (الحبل) الموثق الظهر .

و (اعتقدت كذا عقدت عليه القلب ، والضمير حتى قيل : العقيدة : ما يدين به ، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك).

من خلال التعريف اللغوي نجد أن كلمة (العقيدة) جاءت وهي تدل على معاني عديدة كالشد ، والربط ، والعهد شده ، وطلب المرء أن يحكم اعتقاده قلبه بها ى ، وأما العقائد اصطلاحاً :) عرفه القدماء بانه علم باحث عن ذات الله تعالى من حيث صفاته وافعاله المتعلقة بالمبدأ والمعاد على قانون الإسلام ، وعرفه المتأخرون بانه علم باحث عن أحوال المعلوم وغايته الترقي من حضيض التقليد الى ومن هنا جاءت التسمية بـ (العقيدة الإسلامية) .

ذروة اليقين ، وإرشاد المسترشدين ، والزام المعاندين ، وحفظ عقائد المسلمين عن شبه المبطلين ، وبالنتيجة الفوز بسعادة الدارين فهو اشرف العلوم) . وقيل : (ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل) .

وقيل : لتعلقه بعقد القلب دون العمل بالجوارح ، فكان المقصود من نفس العلم بخلاف علم الفروع ، فالمقصود منه العمل بالجوارح كالصلاة ونحوها .

وتنقسم العقائد الإسلامية إلى ثلاثة أقسام رئيسة :

١. الإلهيات :وهو كل ما يتعلق بذات الله من أسمائه وصفاته وأفعاله ودلائل وجوده

٢. النبوات : وتبحث في كل ما يتعلق بالأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) من حيث صفاتهم ، وعصمتهم ، ومهمتهم، والحاجة إلى رسالتهم ، وموقف شعوبهم منهم ، والكتب المنزلة عليهم، ودحض الشبهات المثارة حول الرسل (عليهم الصلاة والسلام) والمعجزات ، والإرهاصات .

٣. السمعيات: ويقصد بها ماذا يحدث للإنسان بعد الموت من سؤال منكر ونكير ، وعذاب القبر ونعيمه ، والبعث ، والحشر ، والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى ، والسؤال ، والصحف ، والميزان ، والشفاعة ، والعبور على الصراط ، ثم إما إلى النار ، وإما إلى الجنة ، قال تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) .

أهمية العقيدة الإسلامية

لقد انزل القرآن الكريم وفي العالم أفكار وعقائد اختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، ومن يقف على تاريخ العقائد قبل نزول القرآن، فانه سيجد الصراع العقائدي بين الشرك وبين التوحيد الصحيح، وقد عانت البشرية حينها في اضطراب فكري وتيه عقائدي، ولم تكن لتنجوا منه لولا أن تداركها رحمة الباري * بإنزال القرآن العظيم، وإنقاذ البشرية من هذا المصير .

وهذا المعنى هو الذي عبرت عنه سورة البينة، قال : (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ *رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً) .

إن القرآن الكريم قد وضع منظومة عقائدية واضحة متكاملة عرض فيها قضايا العقيدة عرضاً شاملاً، تناول فيها المسائل العقائدية المهمة من الإلوهية والنبوة واليوم الأخر، وما إلى ذلك من المسائل الأخرى.

فقد عرض القرآن الكريم مسالة الإلوهية، وأشار إلى أن الأيمان بالله يتضمن : الأيمان بوجوده ووحدانيته، والأيمان بأسمائه وصفاته وانه الأول بلا ابتداء والأخر بلا انتهاء وانه) لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

وان علمه يشرف على كل شيء، إشرافاً تاماً، فالمشهود والغيب لديه سواء، يعلم عدد ما في صحاري الأرض من رمال وعدد ما في بحار الدنيا من قطرات، وعدد ما في الأشجار من ورقات، وعدد ما في أغصانها من ثمرات ، قال : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) .

وكذلك عرض القرآن مسالة النبوة والوحي، وإنهما الطريقان الوحيدان إلى توجيه المعارف، وتعريف الحقائق التي يريد الله أن يلقيها إلى الإنسان، سواء كان موضوعها عالم الغيب وحقائق ما وراء المادة، أم كان توجيه الإنسان وتنظيم شؤونه في عالم الشهادة. قال : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) .

وكذلك عرض القرآن الكريم مسالة الدار الآخرة، ومصير الإنسان بعد الممات ، وان هذه الحياة ليست باقية، بل هي مقدمة لحياة اكبر تعقبها يقينا وهي الآخرة.

فمن كتب عليه الشقاء كان مصيره النار قال : (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً) ، ومن كتب عليه السعادة كان مصيره الجنة.

هذه جملة من الحقائق التي أشار ونبه إليها القرآن الكريم، وهي بمجملها تؤلف منظومة عقائدية شاملة في الإسلام. **ومن خلال القرآن الكريم برزت للعقيدة الإسلامية أهمية كبيرة وذلك من خلال الأمور آلاتية:-**

١. يشرف العلم بشرف موضوعه، ولما كان هذا العلم يبحث عن توحيد الله الذي بعثت به الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ونزلت لأجله الكتب، فهو لذلك اشرف العلوم لكونه أساس الأحكام الشرعية، ورئيس العلوم الدينية، وكون معلوماته العقائدية الإسلامية وغايته الفوز بالسعادات الدينية والدنيوية .

٢. الاشتغال بأبحاثه والتعمق في أدلته والنظر في مسائله، وينقل صاحبه من دائرة التقليد التي هي مظنة التشكيك إلى دائرة اليقين التي لا تقبل الحق من حيث هو، وتجزم به بقطع النظر عن البيئة والأهواء والأشخاص ويكون سبباً في إرشاد الغير وإقناعه بإيضاح الدليل والزام المعاند، وإفحام الخصم بإقامة الحجة عليه .

٣. هو العلم بأصول الدين والذاب عن بيضة الدين بإبادة شبه المبطلين، وأبطال كلام الملحدين، كما انه العلم الذي يتوقف عليه أحكام الشرع وفروع الدين .

فانه مالم يثبت وجود صانع قادر مرسل منزل للكتب ، لم يثبت بداهة علم من علوم الإسلام فكلها متوقفة عليه وعائدة إليه

٤. ولكونه اشرف العلوم، فقد نزل معظم القرآن في تقرير مسائله وبيان أحكامه وتوضيح أوله، إن الآيات الواردة في الأحكام الشرعية اقل من ستمائة آية . وأما البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عبادة الأوثان وأصناف المشركين، وأنت لو فتشت علم الكلام لم تجد فيه إلا تقرير هذه الدلائل والذب عنها ورفع المطاعن والشبهات القادحة فيها، وأما محمد فاشتغاله بالدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد اظهر من أن يحتاج إلى التطوير. لقد كان العرب قبل أن يسلموا، ركاماً غامضاً،

فلما دخلوا في دين الله . تحول هذا الركام إلى كيان أخر فيه حياة وروح واخلاق ونظام، فالعقيدة الإسلامية صاغت من ملكات العرب الإنسانية بعد أن كانت فوضى فرتبتها، وكانت عقيمة فأثمرت ومتضاربة فتعاونت، فأصبح العرب بفضل الإسلام كتاباً يقرأ، ويفيد ويعجب الآخرين بالتأسي والإقتداء. إن العقيدة الإسلامية كانت السر وراء مبعث الأمة العربية الإسلامية، ولولاها لما كان للأمة شأن يذكر في التاريخ.

تاريخ العقائد الاسلامية

كان الرسول محمد مرجع المسلمين ، يعودون اليه مستفسرين عن امور دينهم ومستزيدين من علومه ، ويجدون عنده الجواب الكافي ، وياتيه المشركون واهل الكتاب يسألونه مجادلين ومعارضين.

وكانت اجابته اياهم باللطف تارة ، وباسلوب لاذع تارة اخرى ، وذلك حسب ما يقتضيه المقام، ولم يسلك سبيل العناد في جميع اجاباته لهم . لَمَّا نَزَلَتْ (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) .

فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ الْمَلَائِكَةُ وَعِيسَى وَعُزَيْرٌ يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْبَدُونَ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، فَذُكر ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ: كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَتْهُم بِعِبَادَتِهِ قَالَ: فَنَزَلَتْ (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود : قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ مُتَّكِيٌّ عَلَى عَسِيبٍ قَالَ فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ قَالَ عْضُهُمْ لَا تَسْأَلُوهُ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ مَا الرُّوحُ فَقَامَ فَتَوَكَّا عَلَى الْعَسِيبِ قَالَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقَالَ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[1] قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ قُلْنَا لَكُمْ لَا تَسْأَلُوهُ (٢) . ولكن الرسول لم يكن يلجأ الى الحوار والجدال الا في مقام دعوة الخصوم الى الدين الجديد ، وقد فهم الصحابة تلكم المعاني ، فكانوا يكرهون البحث والجدال في اصول العقيدة

واما في عهد الخلافة الراشدة بقي حال العقائد على ما كان عليه في عهد النبي فلم يقع أي خلاف يذكر في مسال العقيدة ، وانما وقع خلاف في جملة من المسائل العملية منها :

١. خلافة سيدنا ابي بكر الصديق .

٢. قتال مانعي الزكاة

.٣. وخلافة سيدنا عمر بن الخطاب .

٤ . وفي ارض سواد العراق .

٥. وجعل الامر شورى بين المسلمين في الخلافة بعد الخليفة عمر بن الخطاب . في ستة من الصحابة .

٦. وفي بعض اعمال الخليفة عثمان بن عفان .

٧. وفي قضية التحكيم في عهد الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

وجملة القول : ان المسلمين في هذا العهد لم يتركوا النظر في مسائل العقيدة في معرض الارشاد ، وانما تركوا التوغل والتكلف في النظر والحوار .

---

[1] سورة الاسراء – الآية ٨٥ .

ثم حدث تطور كبير في حال العقائد في عهد الخلافة الأموية فبرزت مشكلات كبيرة ادت الى اختلاف وتفرق المسلمين منها :

١. مسألة القضاء والقدر : التي اثارها معبد الجهني ، ثم تولاها من بعده غيلان الدمشقي .

٢. ومسألة خلق القرآن والصفات الالهية : التي اثارهما الجعد بن درهم ، وتولاها من بعده الجهم بن صفوان (٥) .

٣. ومسألة الكبائر وحكم مرتكبها : التي اثارها الخوارج وفي هذا العهد ظهرت مجموعة من النتائج وهي على النحو الآتي :

١. ان النظر العقلي في العقائد بدأ في هذا العهد على يد الفرق الجديدة التي اثارت مجموعة من المسائل الخلافية ، وكانوا هؤلاء من الموالي الذين دخلوا في الاسلام حديثا

٢ نمت وتميزت بعض الفرق والمذاهب السياسية في هذا العهد بسبب تلكم الخلافات.

٣. ان التدوين والتأليف في مسائل الكلام بدأ في هذا العهد .

واما حال العقائد في العهد العباسي : يعتبر العهد العباسي العهد الذهبي بالنسبة لتدوين العلوم والمعاف الاسلامية وقد راج وانتشر في هذا العهد منهج النظر العقلي في تقرير العقائد الدينية والتي حمل لوائها المعتزلة ، فكانوا أكثر تجردا واكثر اعتزازا بإحكام العقل ، فلم يحاولوا التوفيق بين العقل والنقل في حال التعارض ، وانما قرروا تأويل النقل والاخذ بحكم العقل ، وكانوا اهل جدال ومناظرة بعكس خصومهم ، ودامت لهم السيادة اكثر من قرن من الزمان ، وذلك بسبب تأييد السلطة الحاكمة لهم.

أدلة وجود الله تعالى

أولاً :دليل الحدوث.

بنى المتكلمون هذا الدليل على مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولى :العالم حادث.

المقدمة الثانية : كل حادث لا بد له من مُحدِث.

النتيجة :العالم لا بد له من مُحدِث يُحدِثُه، وهو الله سبحانه وتعالى.

العالم :هو كل ما عدا الله سبحانه وتعالى

وسمي حادثاً؛ لأنه حدث وظهر بعد أن لم يكن، لعلة أوجدته.

فالحادث :هو ما كان معدوماً ثم وجد

الدليل على ان العلم حادث:

الدليل الاول :العالم متغير وكل متغير حادث فالعالم حادث.

الدليل الثاني :العالم متركب من جواهر أوعراض وكل من الجواهر والأعراض متغير فالعالم متغير.

الدليل على ان كل حادث لا بد له من محدث:

كان العدم هو المنبسط محل العالم قبل وجوده ، فالعدم أرجح من الوجود لسبقه، ولكن حين خلق الله هذا العالم ترجح وجود العالم على عدم وجوده، فالوجود والعدم أمران متساويان وترجيح أحد الأمرين المتساويين على الآخر بلا مرجح مستحيل وباطل بالبداهة، فالقول بأن العدم قد تحول الى وجود العالم دون مسبب لهذا الوجود أي من دون خالق للوجود باطل ومستحيل، وبذلك تسلم لنا المقدمة الثانية وهي(:كل حادث لا بد له من محدث.)

الدليل الثاني: دليل الوجوب

موجد هذا الكون أما أن يكون : واجباً أو مستحيالً أو ممكناً. لان كل أمر لا بد أن يتصف بواحد من الأمور الثالثة السابقة ولا رابع لها، لانها أقسام الحكم العقلي .

فلا يجوز أن يكون موجد العالم مستحيلاً .

لان المستحيل لا يتصور وجوده مطلقتاً فهو عدم محض ، ، فال يمكن أن يوجد غيره أذ أن فاقد الشي لا يعطيه، فكيف يكون المستحيل مصدرا للوجود ؟

كما لا يجوز أن يكون موجد للعالم ممكنا.

لان الممكن ال يوجد الا أذا وجد سبب وجوده ، ولهذا السبب أن كان ممكناً فعندئذ يحتاج ألى سبب آخر ... الخ وهكذا. وهذا يلزم منه الدور أو التسلسل وكالهما باطل .

ولما ثبت أن موجد العالم ليس بمستحيل ولا بممكن وجب أن يكون موجد العالم واجب الوجود. فلا يحتاج وجوده ألى سبب بل هو علة العلل وسبب وجود العالم.

الدليل الثالث: البرهان العلمي أو دليل العناية والاختراع

اولا : دليل العناية :

وهذا الدليل يظهر في العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من اجله، ويبنى على اصلين:

1إن جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الانسان.

2ان هذه الموافقة هي(ضرورة)من قبل فاعل قاصد لذلك مريد.

والموافقة تحصل باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الانسان وكذلك موافقة الزمان والمكان الذي هو فيه ايضاً والحيوان والنبات والجماد والامطار والانهار والنار...

وكذلك تظهر العناية في اعضاء الانسان واعضاء الحيوان كونها موافقة لوجود الانسان.

قال تعالى(تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.)

الثاني : دليل الاختراع

فهو كاختراع الحياة في الجماد والادراكات الحسية والعقل. فنحن نشاهد كيف يخرج الله الحي من الميت ويخرج الميت من الحي كمثل الدجاجة التي تضع البيضة التي في ظاهرها جماد لا حياة فيها، ثم يخرج الله عز وجل من هذا الجماد كائن حي، وهكذا وهذا مثال واضح على كيفية اختراع الخالق عز وجل في الاشياء .

ومثله خلق الإنسان فالإنسان بكل ما فيه من ادراك بكل ما فيه من ادراك واحساس وعقل يخلق من ماء فيخترع الله فيه الحياة ويخرج منه بشراً سويا .

﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ، وقوله ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾

صفات اللّه تعالى

أولاً: الصفة النفسية (الوجود): هي صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات، دون معنى زائد عليها.

ثانياً: الصفات السلبية: وهي: القِدَم، البقاء، المخالفة للحوادث، القيام بالنفس، الوحدانية.

س/ لماذا سمية الصفات السلبية بهذه التسمية.

ج/ لأن كل واحدة منها سَلَبَتْ (نَفَت) أمراً لا يليق به الله تعالى، فصفة القِدَم سلبت لأولوية الوجود، وصفة البقاء سلبت لآخريّه الوجود، وهكذا.

١. **القِدَم:** هو أن وجود الله غير مسبوق بالعدم، فالله ليس له بداية.

وضد صفة القِدَم الحدوث

الدليل العقلي على قدمه تعالى: إن الله تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، إذ لا وسط بينهما. ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدِث يُحدثه، ومُحدِثه يحتاج إلى مُحدِث. . .، وهكذا. فيلزم الدور أو التسلسل، وكلّ منها محال، فوجب أن يكون قديماً.

الدليل النقلي على قدمه تعالى: قوله تعالى: (الأَوَّلُ) في الآية: (هُوَ الأَوَّلُ وَالأَخر).

٢. **البقاء:** هو أن الله تعالى أبدي، ليس لوجوده آخر، فستحيل أن يلحقه العدم والفناء.

وضد صفة البقاء الفناء

الدليل العقلي على صفة البقاء:

أ- لو لم يكن الله تعالى باقياً لكان فانياً، ولو كان فانياً لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدِث، ومُحدِثه يحتاج إلى مُحدِث. . .، وهكذا. فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت بقاؤه تعالى.

ب- لو جاز عليه تعالى العدم لاستحال عليه القدم، وهو باطل لثبوت قدمه تعالى.

الدليل النقلي على صفة البقاء: قوله تعالى: (الأَخر) في الآية: (هُوَ الأَوَّلُ وَالأَخر).

٣. **المخالفة للحوادث:** وهي أن الله تعالى ليس مماثلاً لشيء من الحوادث الموجودة والمعدومة.

وصفة المخالفة للحوادث عبارة عن: سلب الجِرْمية، والعَرَضية، والكُلّيّة، والجزئية.

فلازم الجِرْمية هو التحيُّز، ولازم العَرَضية هو القيام بالغير، ولازم الكُلية هو الكبر، ولازم الجزئية هو الصغر.

وضد صفة المخالفة للحوادث المماثلة للحوادث

الدليل العقلي على صفة المخالفة للحوادث:

أ- أنه تعالى لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً لها، ولو كان مماثلاً للحوادث، لكان حادثاً مثلها، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحدِث، ومُحدِثُه يحتاج إلى مُحدِث. . .، وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت مخالفته للحوادث.

ب- كل مَن وجب له القدم، استحال عليه العدم، ولا شيء من الحوادث يستحيل عليه العدم، فلا شيء منها بقديم فتثبت المخالفة.

الدليل النقلي على صفة المخالفة للحوادث: قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ).

٤. **القيام بالنفس:**

معنى القيام بالنفس شيئان:

أولهما: عدم افتقاره إلى محل.

وللمحل تفسيران:

أ- الذات التي يقوم بها، لا بمعنى المكان.

ب-الذات والمكان معاً.

ثانيهما: عدم افتقاره الى المخصِّص، أي الموجِد، فهو من أوجد الموجودات.

وضد صفة القيام بالنفس الاحتياج إلى غيره

الدليل النقلي على صفة القيام بالنفس:

أ- الدليل على عدم افتقاره إلى مخصص: إنه لو افتقر إلى مخصص، لكان حادثاً، وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ذاتاً وصفاتاً.

ب- الدليل على عدم افتقاره إلى محل:

- لو افتقر إلى محل لكان صفة، ولو كان صفة، لم يتصف بصفات الكمالية الأزلية.
- المتمكِّن يحتاج إلى مكان، بحيث يستحيل وجوده بدونه والمكان مستغنٍ عن المتمكِّن لجواز الخلاء، فيلزم إمكان الواجب ووجوب المكان، وكلاهما باطل.

الدليل النقلي على صفة القيام بالنفس: قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).

س/ فإن قيل: كيف يُتصور عدم تحيز الله تعالى في مكان؟

ج/ إن تصور المكان لأي جسم، يكون نتيجة ملاحظة واستقراء أحوال الأجسام التي نراها حالة في مكان ما، أما قياس الله تعالى على الأجسام في وجود التحيُّز، فهو قياس باطل، ولا علة جامعة بين الأصل والفرع، وذلك لأن العقل البشري محدود وقاصر عن إدراك كثير من الأمور، فهو يحكم بوجود أشياء كثيرة كالروح والعقل في الجسم والكهرباء في الأسلاك المعدّة لجريانها بها . . . إلخ، وإن لم يعرف حقيقتها أو كُنهها، ولا يدرك من سرها شيئاً.

فإذا كان العقل البشري قاصراً عن إدراك كثير مما فيه وحوله، فكيف يمكن أن يتصور عدم تحيزه تعالى في مكان؟ مع أنه قطع بوجوده تعالى، وقصر عن إدراك كنهه وتصوره وفهمه؟

فحسبُ الإنسان إذن أن يؤمن بوجوده تعالى وبصفاته، ثم يَحار في فهمه وتصوُّره. وهذه هي حقيقة الإيمان بالغيب التي أمر الله به عباده.

٥. **الوحدانية**: هي عدم التعدد في الذات أو الصفات أو الأفعال.

فالوحدانية في الذات: تنفي (الكم المتصل) الذي هو التركيب، أي تنفي تركب الذات الإلهية من أجزاء، وتنفي (الكم المنفصل) الذي هو التعدد، أي تنفي بوجود إلهين فأكثر.

والوحدانية في الصفات: تنفي (الكم المتصل) الذي هو تعدد صفتين من جنسٍ واحد كقدرتين فأكثر، وتنفي (الكم المنفصل) الذي هو اثبات صفة إلهية لغيره تعالى تشبه صفته، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم كقدرته تعالى، أو إرادة تخصص الشيء ببعض الممكنات.

والوحدانية في الأفعال: تنفي (الكم المنفصل) فقط، الذي هو إثبات فعل لغيره تعالى على طريق الإيجاد والخلق.

وضد صفة الوحدانية: هي التعدد في الذات أو الصفات (أتصالاً وانفصالاً) وفي الأفعال (انفصالاً).

ثالثاً: صفات المعاني: وهي: القدرة، الإرادة، السمع، البصر، العلم.

١. **القدرة**: هي صفة أزلية يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه.

وضد صفة القدرة العجز

الدليل العقلي على ذلك :هو انه الله تعالى لو لم يتصف بالقدرة ، لكان عاجزاً.

ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من هذه الحوادث المحكمة الصنعة المرتبة المتقنة

وعدم وجود شيء من الحوادث باطل بالمشاهدة.

الدليل النقلي على صفة القدرة، قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

قال تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)

س/ هل يقدر الله تعالى أن يوجد إلهاً مثله، أو نحو ذلك من التأثير في الواجب والمستحيل، وضح ذلك؟

ج/ لو أوجد الله تعالى شريكاً له لم يكن هذا الشريك واجب الوجود؛ لأنه مسبوق بالعدم.

٢. **الإرادة**: هي صفة أزلية، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، من وجود أو عدم، ومقدار وزمان، ومكان وجهة.

وضد صفة الإرادة الإكراه

الدليل العقلي : لو لم يكن الله تعالى مريداً لكان مكرهاً ولو كان مكرهاً لكان عاجزاً ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من هذه المخلوقات . وعدم وجود شيء من هذه المخلوقات باطل بالمشاهدة فثبتت إرادته تعالى.

الدليل النقلي على صفة الإرادة، قوله تعالى: (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ).

﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾

٣. **السمع**: صفة أزلية شانها إدراك كل مسموع وان خفي فهي صفة تنكشف بها المسموعات من غير اله. فلا يغرب عن سمعه وان خفي ، ولا يحجب سمعه بعد ويسمع من غير أصمخة وآذان.

وضدها : الصمم

٤. **البصر**: هي صفة أزلية شأنها إدراك كل مبصر، وإن لطف.

فهي صفة تنكشف بها المرئيات من غير اله فلا يغيب عن بصره مرئي وان دق ولا يدفع رؤيته ظلام ويرى من غير حدقة واجفان.

وضدها : العمى

.فهاتان الصفتان ليستا محدودتين. خلافا لسمع الإنسان وبصره

الدليل العقلي على ذلك : هو أن الله تعالى لو لم يتصف بالسمع والبصر لزم أن يتصف بضدها وإذا ثبت اتصافه بضدها كان ذلك نقصاً والنقص عليه محال.

الدليل النقلي على صفتي السمع والبصر، قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ).

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير).

٥. **العلم**: هي صفة أزلية تنكشف المعلومات عند تعلقها بها.

وضد صفة العلم الجهل وما في معناه، كالظن والشك والوهم والذهول والغفلة والنسيان والسهو

الدليل العقلي على ذلك : لو كان ناقصاً لاحتاج إلى من يكلمه ومكمله يحتاج إلى مكمل آخر .. وهكذا هل يلزم الدور والتسلسل وكلاهما باطل فثبت علمه تعالى.

الدليل النقلي على صفة العلم، قوله تعالى: (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

وقوله: (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ). وقوله: (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

٦. **الحياة** : صفة أزلية توجب صحة العلم والإرادة وباقي صفات المعاني والمعنوية وليس معنى الحياة في حقه تعالى ما يقوله الطبيعي من قوة الحس ولا قوة التغذية وللقوة التابعة للاعتدال النوعي كما إن حياة الله بلا روح بخلاف حياة الحادث فأنها بالروح. وضدها : الموت

الدليل العقلي على ذلك: لو لم يتصف الله تعالى بالحياة لما صح اتصافه بالقدرة والإرادة والعلم لأنه لا يتصور قيامها بغير حي وهو محال.

الدليل النقلي على ذلك: قوله تعالى(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)

٧. **الكلام** : صفة أزلية تنكشف المعلومات عند تعلقها بها.

كلامه تعالى نوعان :

أ ـ كلام النفسي : وهو الكلام حقيقة المعبر عنه بالألفاظ، ليس من جنس الأصوات والحروف، بل صفة أزلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت والآفة، كما في الخرس والطفولي وهو بها أمر ناه مخبر، وهو قديم لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى .وهو قائم بذاته تعالى .

وضدها: الخرس

بـ ـ الكلام اللفظي : وهو الحروف والأصوات، وهذا يقولون بحدوثه بذاته تعالى، وهو القرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة فالقرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق.

لعقيدة التوحيد آثار عظيمة على حياة المسلم وهي:

١. الإيمان بالله تعالى، وبأنه واحد يمكن المرء من العلم: بأن السموات والأرض لها رب يكلؤها برعايته، ويرعى مَن فيها بعنايته، فيرزقهم ويربيهم ويعلمه بأن ليس في هذا الكون شيء يقوم بنفسه. أما المشرك والملحد فلا يقول بمثل هذا.

٢. الإيمان بالله ينشئ في الأنسان العزة والأنفة. فالله هو القوي، ولا ضار ولا نافع ولا محيي ولا مميت إلا هو، فلا يطأطئ راسه لأحد، ولا يتضرع إليه، ولا يرتعب من كبريائه. وأما الشرك والملحد فيرى غيره قادراً على نفعه وضره، فيتضرع إليه، ويرتعب منه.

٣. الإيمان بالتوحيد ينشئ في المرء التواضع. فلا تراه يفخر بماله وعزته وكفاءته، وإنما يقول: هي هبة من الله تعالى. بخلاف الملحد الذي يبطر غذا حدث له نعمة عاجلة، ويشمخ بأنفه على غيره.

٤. المؤمن يرى أن النجاة والفلاح لا تكون إلا بتزكية النفس، والعمل الصالح، والبِر، والتقى. أما المشرك والملحد فلا يرى بمثل هذا.

٥. المؤمن لا يتسرب إليه اليأس، بل هو مطمئن مملوء سكينة وأملاً، ولو أهين، ولو أذي. أما المشرك والملحد فلا يقوى قلبه على الوقوف بالمحن، وقد يفضي اليأس بهم إلى الانتحار.

٦. المؤمن على قوة عظيمة من العزم والإقدام، والصبر والثبات، والتوكل، فإذا كان حاكماً لا يبتغي إلا مرضاة الله تعالى، ولا يهمه إلا إقامة العدل؛ لأن وراءه قوة علوية، تكلؤه، وترعاه، وتأخذ بيده.

٧. المؤمن على قدر كبير من الشجاعة والجرأة؛ لأن الذي يجبن الإنسان، ويوهن عزمه أمران: حبه للنفس والمال والأهل. واعتقاده بأن هناك أحداً يميت غير الله، وأنه قادر على أن يدرأ عن نفسه الموت بحيلة من الحيل.

٨. الإيمان يرفع قدر الإنسان، وينشئ فيه: الترفع والقناعة والاستغناء، ويطهر قلبه من الطمع واللؤم، والعواطف السافلة، والصفات القبيحة الأخرى، فالرزق ليس إلا بيد الله وحده، فلا نجاح ولا خسران إلا بيده تعالى. أما الملحد والمشرك فهو عبد الطمع والشر، همّه الكسب بالسبل المشروعة وغير المشروعة.

٩.الإيمان يجعل الإنسان متقيداً بقانون الله، ومحافظاً عليه. فهو إن خلا بنفسه ليلاً أو نهاراً، يعلم أن عليه رقيباً، يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة، فتراه يسارع إلى الخيرات، ويأمر المعروف، وينهى عن المنكر. فوازعه النفسي يحضه على الخير، وينهاه عن كل رذيلة. أما الملحد والمشرك فلا يرى شيئاً من هذا.

ملاحظة : ١ـ اضف اسباب الالحاد.

٢ـ ادلة نفي الكموم

يتبع المحاضرات القادمة